كُتب الأنساب وتاريخ الجزيرة

للدكتور عبدالعزيز الدوري
(عضو شرف في مجمع اللغة العربية العراقي)

١ ـــ لا يُراد هنا بيان اهمية النسب ودَوره في الحياة العربية ، وتكفي الاشارة الى انه كان بصوره المتعددة اساسيا في حياة القبائل قبل الاسلام، وعاملا بعيد الاثر في الحياة العامة بعد الاسلام . واذا كانت ظروف الحياة في البادية تؤثر في تكوين الكيانات القبلية، بتحديدها او بتوسيعها عن طريق الاحلاف وتداخل الأنساب، فان الأنساب في العصر الاسلامي أثّرت في تنظيم الديوان ، وفي التمصير ، وفي تنظيم المقاتلة ، كما اثّرت (وتأثّرت بدورها) بالظروف السياسية في الدولة الاسلامية، وبالصراع على السلطة . وخلال ذلك كله كانت العناية بالنسب كبيرة، والتأكيد عليه واضحـــا .

ظهرت العناية بالانساب، بروايتها وكتابتها، خلال القرن الاول للهجرة ، وتمثلت في مرحلتها الاولى بوجود نسّابينَ في كل قبيلة ؛ وبوجود كُتُب لدى القبائل بأنسابها واخبارها واشعارها . ويشير الهمداني الى وجود سجلات (زُبُر) لدى عرب اليمن بأنسابهم اطّلع على بعضها (الاكليل ج ١٠ ص ٧٠ ـــ ١ وص ١١١) .

وظهر نسّابون وسّعوا اهتمامهم الى اكثر من قبيلة، وبدأوا بجمع انساب القبائل في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة ، جنبَ الاهتمام بنسب قريش خاصة ؛ كما ظهر بين النسابين من اهتمّ باخبار القبائل مع انسابها، فاسهموا في الدراسات التاريخية . وفي طليعة هؤلاء محمد بن السائب الكلبي (انظر

ابن النديم ص ٩١ من اهتمام الوليد بن يزيد بالانساب ؛ والاغاني ج ١٩ ص ٥٩ من اهتمام خالد القسري بهـا) .

ولم تصلنا مؤلفات من الانساب الا من القرن الثالث ، في مقدمتها "جمهرة النسب" لهشام بن السائب الكلبي ، ثم "نسب قريش" لمصعب الزبيري (وقطعة من جمهرة نسب قريش واخبارها لابن اخيه الزبير بن بكار ٢٥٦هـ) . وتبلغ الكتابة في اطار النسب اوجها عند البلاذري (٨٩٢/٢٧٩) . وستتناول الملاحظات التالية المؤلفات الثلاثة المذكورة :

٢ — جمهرة النسب لابن الكلبي (٨١٩/٢٠٤) كتاب شامل في انساب العرب (اطلعنا على مخطوطين لـه : الاول مخطوط المتحف البريطاني ، فيه انساب عرب الشمال، ونسب الازد، وعنوانه جمهرة النسب (ونرمز لـه بـ ق ١) ، والثاني مخطوط الاسكوريال، وفيه نسب ربيعة، ثم انساب القبائل اليمانية؛ وعنوانه : كتاب النسب الكبير (ونرمز لـه بـ ق ٢) .

ويبدو ان "جمهرة النسب" جاء برواية محمد بن حبيب (انظر ق ١ ص ٢ ب ، ١١٩ أ ، ١٩٤ أ) ، في حين أن كتاب النسب الكبير جاء عن ابن الكلبي مباشرة . كما يبدو أن ترتيب القبائل لا يخلو من اختلاف بين المخطوطين ؛ ففي حين ترد الازد اول القبائل اليمانية في جمهرة النسب ، يبدا كتاب النسب الكبير بكندة (ق ٢ ص ٨٧) ويتناول مجموعة من القبائل قبل ان يتناول الازد (ق ٢ ص ٢٥١) . وهذا يتطلب دراسة مقارنة لتكوين فكرة عن اثر الرواية في تناقل الكتاب .

ويرد في آخر النسب الكبير : « آخر كتاب نسب معد واليمن الكبير، تأليف محمد بن السائب الكلبي » (ق ٢ ص ٥٢٨) . وهذا يناقض ما جاء في مطلع الكتاب وفي ثناياه ؛ وهو غير دقيق بالنسبة لكتابنا، ولكنه لـه دلالته . فهل وضع الكلبي كتابا في الانساب ؟

الاب محمد بن السائب الكلبي (٧٦٣/١٤٦) انساب العرب وحاول جمع

الروايات القبلية من نُسّاب القبائل ، ومن افضل نُسّابه في كل قبيلة ، كما افاد ؛ ورجع الى شعر النقائض،خاصة نقائض الفرزدق .
وقد افاد ابنه هشام من دراساته واتمهما في وضع كتابه (الدوري — بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٤٠ — ١) . ولكن لم ترد اشارة الى كتاب لـه . الا ان الاشارات في ثنايا الكتاب تشعر بانه وضع كتابا ؛ فقد جاء : « وفي كتاب الكلبي » (ق ١ ص ٧٤٩) و « عن كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي » (ق ١/١١٨ ا) ، و « هذا ليس من كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب) ، و « وقال ابو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي » (ق ١/٦٤ ا ، ٧٠ ب) ، و « عاد الى كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب ، ٧١ ا) و « رجع الى حديث الكلبي » (ق ٢/١٤٢ ، ١٤٤) . هذا اضافة الى اشارات مثل « قال الكلبي » (ق ١/٤٨ ب) التي قد تشير الى الاخذ من كتاب او شفاهاً .

وهكذا يتبين ان محمد بن السائب الكلبي وضع كتابا في النسب (ويبدو ان عنوانه : نسب معدّ واليمن الكبير) ، وان ابنه هشام روى هذا الكتاب كما يبدو من مطلع المخطوطة (ق١/٢ب ا، ومن ثنايا الكتاب (ق ١/٦٠ ا : « نسب ولد طابخة بن مضر بن نزار بن معدّ، عن الكلبي » ، وفي ق ٢/٨٥ : « وابنه هشام بن محمد بن السائب الراوي عن ابيه ») .

واضاف ابن الكلبي دراساته وبحوثه،كما يتضح من بعض الاشارات . مثلا : « قال ابن الكلبي : حدثنا خراش قال : سمعت اشياخا لبكر بن وائل يقولون » (ق ١/١٦٤ ا) ، و « قال هشام بن الكلبي؛ قال خراش : كانوا . . » (ق١/١٧٢ ا) و « قال هشام بن محمد الكلبي؛ حدثنا ابو ... الكلبي عن يحيى بن عروة بن هانيء المرادي . . » (ق ٢/٨٥ — ٦) . وعند الحديث عن أم « عايذ بن ثعلبة » يرد « واسمه اسماء،وهي الجذماء بنت جل بن عدي بن عبد مناة . . وكان شرقي بن القطامي يقول،هي الجذماء بنت ملية . . بن عميرة بن اسد . قال هشام :

وهذا من قولـه باطل لا يعرف ، والقول هو الاول » (ق ١/١٩٥ أ).
ويرد ذكر بعض من اخـذ عنهم ابن الكلبي ، فعند الاشارة الـى اقيط الرواية يقول ابـن حبيب :« وكان صدوقا .. وقد لقـي هشام ابن الكلبي لقيطـا » (ق ١/١٦٣ ب) ، وعند ذكر العلاء بن المنهال (من غني بن اعصر) يُرد :« كان شريفا لقيه ابن الكلبـي وكان يحدث عنه » (ق ١/١٨٩ أ) . وفي ذكـر مسيك المرادي يرد : « قـال هشام بن محمد بن الكلبي،حدثنا ابـو خباب الكلبي .. الخ » (ق ٢/٦) . ويشار الى بعض من لقيهم ابـن الكلبي،مثل عرفاء بن مصاد بن شريح،« وقد لقيـه هشام بن الكلبي في زمان ابـي جعفر وهو ابـن تسعين سنة،وكان بدويـا » (ق ١/٢٠٤ أ ، وانظر ق ١/٧٨ أ عن الشاعر ابـي الشعب) .

وقـد ترد اشارات الى انساب لم يذكرها الكلبي ، مثـل « وولـد قيس بن ثعلبة بن عكابة ضبيعة وتيما .. ولـم يذكـر الكلبي ولـد تيـم » (ق ١/٢١٥ أ) ؛ و « هؤلاء بنـو الهجيم بن عمرو بن تميم ، وليس هـذا عن الكلبي » (ق ١/٩٣ أ) . او تـرد تعديلات ؛ ففي الحديث عن بعض الأوس يذكر : « وعبـد الرحمن بن ابـي ليلي .. كان مولى الانصـار، فدخل فيهم ابـن احيحة، في قول الكلبي ؛ واما ولـده فقالوا اسمه داود بن بلال بـن احيحة » (ق ١/٥٩ أ) .

ويبـدو أن محمد بن حبيب قـام ببعض التدقيق او الاضافة في روايتـه ونشره لجمهرة النسب ، كمـا يتبـين من بعض الملاحظات مثل « قال ابـو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبـي، كتبته من بعض ولـد عطارد » (ق ١/٦٤ أ) ، ومثل « وكـان في اصل كتاب الكلبي خلف بن معشر، ولـم يكن فيه بـدر وعتبة ، وبدر من كتاب ابـن الاعرابي (٨٤٦/٢٣١) » (ق ١/٤٧ ب) . وتتكرر الاشارات لأخذه من كتاب ابـن الاعرابي ؛ « وفي كتـاب ابـن الاعرابي محتلم ابن حتابة مكان ليث » (ق ١/٩٠ أ ، وانظر

٤٩ ب ، ٤٨ ب ، ٤٧ ب) ، ومثل قوله « وهو ابو عبد الله بن قتمة . قال ابن الاعرابي قتمة ، وقـال الكلبي قتمة » (ق ١/١١٢ ب) .

وينسـب الكلبيان الى التشيع ؛ ولا نجـد في الكتاب ما يشعر بذلك الا في ملاحظات قليلة عرضية (انظـر ق ١/٧٠ أ ، ٦٧ أ ، ٨٠ أ ، ١٠٧ ب وخاصـة ٢٥٦ أ) وفي الاهتمام بذكر من قتل مع علـي ، والحسين ، وفي حركة المختـار . ولكن الكتابة تتسم بالدقـة والموضوعية بصورة عامـة .

٣ ــ ولجمهـرة النسب اهمية كبيرة في ذكـر الشخصيات العربية من الجاهلية الثانية الى ايـام المامون (ق ١/٢٠٣ ب ــ ٢٠٤ أ) ؛ مع تعليق موجـز او اشارة مركّزة تبيّن دور من ظهـر في الدول المختلفة ــ من كان شريفـا او سيدا في قومـه ، ومن برز في يـوم من ايـام العرب ، ومن كان فارسا ، ومن [illegible] النبـي (ص) او صحبه ، ومن استشهد في مغازي الرسول [illegible] خاصة بدر واحد ، ومن استشهد في الردّة ؛ كما [illegible] قُتل في ايـام العرب الكبرى في الاسـلام،كالقادسية واليرموك والجمـل وصفّـين .

ويُعنَى المؤلـف بصورة خاصة بالاشارة الى من تولّى مناصب مسؤولة،من امراء وعمّال، وقادة،واصحاب شرط،وقضاة . [illegible] حريص على ذكـر الشعراء في القبائل . وبالاضافة فهو يشير بمن تميّز في مجـالات اخرى،مثل الخوارج ، ونقباء [illegible] السياسية ؛ وبمن تميّـز في حقول الثقافة،كالفقه والنحو والاخبار وهو ينفرد بصـدد هذا ببعض الملاحظات او المعلومات التي لا [illegible] عنـد غـيره .

ولعـلّ امثلة من الاشارات والملاحظات التـي يوردها توضح طبيعة اخباره . فمن اخبـار الجاهلية ــ امثلة : « منهم سعد بن

خصفة بن ظالم،كان سيد بني سعد في زمانه .. وكان جاهليًّا »
(ق ١/٨٤ أ ــ ب) . هوذة ابن علي بن ثمامة (من بني سحيم)
وكان يجيز البرد لكسرى حتى تبلغ نجران ، فاعطاه كسرى قلنسية
قيمتهـا (٣٠,٠٠٠) درهم » (ق ٣٥/٢) . « ومنهم (الازد)
السموأل بن حيا بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كلب ؛
كان من اوفى العرب،وهو صاحب تيماء،وولده بها الى اليوم »
(ق ٢٢٨/١ أ) . « وحارثة بن عمرو (شيبان) وهو ذو الجناح ؛
كان على بكر بن وائل يوم اوارة ، يوم قاتلت بكر بن وائل
المنذر بن ماء السماء (ق ١/ ١٩٦ أ) .

ومن الفترات الاسلامية ــ امثلة : « ابو رحم؛وهو كلثوم
بن الحصين بن عتبة بن خلف .. استخلفه رسول الله في
غزوة حنين وفي حجة الوداع على المدينة » (ق ٤٩/١ أ) .

« وشرحبيل بن السمط بن الاسود .. شهد القادسية ؛
جاهلي اسلامي ، ووليُ حمص؛وهو الذي قسمها منازل حين
افتتحها » (ق ٩١/٢) . « فمن بني سعد بن مرة (ذهل) المثنى
بن حارثة ... صاحب يوم النخيلة الذي قتل مهران » (ق ٢٠٠/١ أ).

« فمن بني بهدلة عوف بن حصين؛وهو الزبرقان بن بدر ..
الذي ادى الصدقة الى ابي بكر في الردّة » (ق ٨٩/١ أ) .

« ان سليمان بن كندير وَلاّه عثمان نجران (من قشير بن كعب) »
(ق ١٣٦/١ أ) « منهم (مازن بن منصور) عتبة بن غزوان ..
الذي فتح البصرة،وكانت يومئذ البصرة (كذا) ، وهو الذي
بصر البصرة » (ق ١٥٧/١ أ) .

« ومن بني عمرو بن امرىء القيس .. عامر بن النعمان بن
عامر الشرقي؛وهو الوليد بن القطامي .. النسّابة ؛ كان في
صحابة المنصور والمهدي » (ق ٤٣٧/٢) وانظر (ق ١٦٣/١) .

« لقيط الرواية وكــان صدوقا » . « منهم سعيد بن الخنس بـن عمارة .. وكان فقيهـا بالكوفة » (ق ١/٨٢ أ) . انظــر ق ٢/٢٠٠ ، ٢٠١ ، ق ١/١٠٨ ب) .

« علــي بن ظبيان بن هلال بن قتادة (غطفان) قاضي القضاة لهرون الرشـيد على الشرقية ، وكــان ولاه الخاتم مع محمد بـن شرون ، وولاه قضاء القضــاة » (ق ١/١٧٠ أ) .

« عبد الله بن الطفيلي بن ثور ، شهد مع علــي مشاهده .. وهو جــد البكائي صاحب المغازي » (ق ١/١٤٢ ب) .

« لاهز بن قريظ النقيب بن سرى الكاهن ؛ قتله ابــو مسلم لقوله لنصر بن سيار : ان المــلا يأتمرون بك » (ق ١/٨٥ ب ، وانظر ٨٦ أ عن القاسم بن مجاشع النقيب ، و ٨٥ ب عن موسى بـن كعب النقيب) .

« ابـو بلال مرداس،واخوه عمرو،ابنـا مدبر بن عمرو .. وامهما ادية،وهما الخارجيان » (ق ١/٧٦ ب وانظر ق ٢/١٤١) . « راسب بطن منهم عبد الله بن وهب الخارجي،قتـل يوم النهر » . اشارات اخرى (ق ١/١٩٨ب ، ١٩٩ ب ، ٢٢٠ب ، ٧٨ب ... أ) .

« مــن ولده (مخنف بن سليم الأزدي) ابـو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن عنف الراوية » (ق ٢/٢٢٤) .

« شرحبيل بن معدي كرب .. وفــد الى النبي (ص) وكــان في الفـين وخمسة (من العطاء) » (ق ٢/٦٠ وانظر ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٠ ، وانظر ق ١/٨٣ أ عن حجر بن عدي « وكــان في ٢٥٠٠ ») .

ويشــير الـى الشعراء (انظــر ق ١/٢٠٨ أ ــ ب ، ٢٠٩ أ ، ٢١١ أ ــ ب) ، ويورد مقتطفات مــن شعرهــم (انظــر ق ١/١٣٨ أ ، ١٥٣ أ) هي في العادة بين بيتين وثلاثة ابيات،وقد تصل الى خمسة او ستة ابيـات .

ويشير ابن الكلبي الى عدد كبير من ايام العرب في معرض حديثه عن شريف أو فارس ؛ مثل قوله : « فمن بني عمرو بن ربيعة عامر بن مسعود .. كان على بكر بن وائل يوم ذي قار » (ق ١/١٩٧ أ) . و « منهم عبّاد بن مسعود بن عامر الذي ولي القتال بين تميم وبكر بن وائل يوم اللصاف » (ق ١/١٩٦ أ ـ ب). و « ومن بني عتبة بن سعد .. صاحب مقدمة كليب يوم خزار » (ق ١/٢٢٨ أ) . أو ترد الاشارة بمناسبة قتل شريف، مثل « ويزيد (غلفان) قاتل كهف الظلم الغساني يوم جبل فيد » (ق ١/١٧٢ ب) ، او لحادث ذي صلة مثل « ضبيعة بن الحارث بن خالد .. الذي يقول له عامر بن الطفيل، وطعنه يوم النتاءة .. » (ق ١/١٨٦ أ) .

ومن الايام التي يشير اليها يوم اوراة (ق ١/١٩٦ ب) ويوم الجلاة (ق ١/١٨٨ أ ـ ب) ويوم جبلة (ق ١/١٧٨ ب ـ ١٢١ أ) ويوم الذنايب (ق ١/٢٢٦ ب) ، ويوم الكلاب (ق ١/١٣٠ب ، ٢٢٧ب ، ق ٢/١٨١) ، ويوم قصة (ق ١/٢٠٧ب)، ويوم اللصاف (ق ١/١٩٧ أ ـ ب) ، ويوم التحالق (ق١/١٩٦ أ)، ويوم النجير (ق ٢/١٠٤) ، ويوم الاجفر (ق ٢/١٥٥) ويوم صفاق (ق ٢/١٨٥) ، ويوم فيف الريح (ق ٢/١٨٨) ، ويوم الآخرين (ق ٢/١٩٠) ، ويوم الزرم (ق ٢/١٩٠) ، ويوم بعاث (ق ٢/٢٦١) ، ويوم عين التمر (ق ٢/٦٢) ، ويوم الذنار (ق ٢/٦٦٢) ، ويوم الكلاب الثاني (ق ١/٩٨ أ) ، ويوم القرنتين (ق ١/١٢٤ أ) ، ويوم الحاجر (ق ١/١٣٣ أ) ويوم الرقم (ق ١/١٢٢ ب) ، ويوم النخيل (ق ١/٢٣٠ ب) ، ويوم الثيار (ق ١/١٣١ أ) ويوم ذي علق (ق ١/١٢٢ ب ـ ١٢٣ أ) .

ويتناول الكثير من شؤون القبائل ، فيورد ملاحظات عن دخول جماعات من قبيلة في نسب قبيلة اخرى ، وبذلك يعدل من النظرة بان النسب كله لاب واحد ، سواء اكان هذا الدخول

لاسباب قبلية أو معاشية او سياسية . فعند الحديث عن نسب اياد بن نزار يقول :« وولد زهير بن اياد حذاقة والثمال دخل في تنوخ ، وعبد الله دخل في بني تميم ، وعمرا دخل في بني الصم » (ق ٢٤٢/١ ب) . ويذكر عن ولد ربيعة بن نزار : « والكلب دخل في خثعم ، وهم رهط طائش بن حراك الشاعر ، .. وماسة وهم باليمن » . ثم يقول « واماضنة فانهم دخلوا في بني عذرة بن سعد بن هزيم بن قضاعة » (ق ٥/٢) . وعند الحديث عن فزارة بن ذبيان يقول : « ومنهم بيهس واخوته التسعة .. لحقوا ببطن من مذحج .. وهم اليوم ينسبون في عنس بن مالك بن مذحج » (ق ١٧٦/١ ا) . وعند الحديث عن جذام يقول : « فولد اسلم بن مالك عنب ، وهم اليوم في بني شيبان » (ق ١٣٣/٢) . وعند ذكر سعد العشيرة يقول :« وولد زيد الله ابن سعد العشيرة ،عامر واشرس والديل وعوف ، فدخل الاشرس والديل وعوف في بني تغلب ، واقام عامر بن زيد الله على نسبه ،فمنه تفرقت زيدان » (ق ٢١٦/٢) . وعند الحديث عن قبائل الازد يقول :« فولد بكر بن يشكر عامر .. ومسعد وعوف والحارث .. دخلوا في بني زبيد » (ق ٢٢٧/٢ وانظر ق ٨١/١ ا . وانظر الحديث عن قيس عيلان ق ١١٦/١ ب ، وعن دخول بني عمرو بن جنحود، من حضرموت ،في تميم . انظر ق ٨٨/١ ا ، وانظر ق ٨٧/١ ب) .

واذا كانت هذه المعلومات تكشف عن بعض التداخل في النسب لاسباب سياسية او اجتماعية ،فانها تؤكد الاهتمام بالنسب ورصده بتدقيق المعلومات عن الانساب .

ويذكر ابن الكلبي معلومات اجتماعية عن اسماء القبائل وعاداتها وتقاليدها ، وبعضها له اهمية خاصة . ففي اسماء القبائل يذكر مثلا سبب تسمية اعصر (بن سعد بن قيس عيلان ق ١٦٥/١ ا ـ ب) ، ويوضح ظروف تسمية أبناء تميم (زيد ، ومناة ،

عمرو ، الحارث)(ق ١/٩٥ أ) ، وسبب تسمية الريلب بهذا الاسم وما يشمله (ق ١/٩٦ ب ــ ٩٧ أ) .

وهو يركز معلوماته احيانا ، ففي قصة حوار مع تميمي من فخذ بني عبد الله بن دارم ، يرجع نسب الاسرة في تدرج متسلسل مع وصف كل خطوة حتى ينتهي الى مضر (ق ١/٩٥ أ ــ ٩٦ ب) .

ويشير الى بعض الأعراف القبلية ، فيتحدث عن نوع من القسم ؛ قال خراش : « كانوا يحلفون بالملح والرماد والنار وبذات الودع ، يريدون سفينة نوح » (ق ١/١٧٢ أ) . وعند ذكر مقتل زيد بن بكر بن هوازن على يد اخيه معاوية يضيف : « فوداه عامر بن الظرب ١٠٠ من الابل ، وانما جعلها مئة لعظم الابل عندهم ليتناهوا عن الدمار ، فهي أول دية كانت في العرب مئة من الابل حكم عامر بن الظرب حكما جاريا » (ق ١/١٢٠ أ) . وعند ذكر عمرو بن حارثة بن ربيعة (من خزاعة) يقول : « وهو الذي بحر البحيرة وسيّب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وغيّر دين اسماعيل ، ودعا العرب الى عبادة الاوثان » ، « وكان صاحب الكعبة » (ق ٢/١٩٥ ، ١٩٦) ؛ وعند الحديث عن حجر بن يزيد بن معديكرب بن سلمة (من بني سلمة بن الحارث) يسميه « صاحب مرباع بني هند » ، ويضيف ، « والمرباع ان يأخذ الربع من الغنيمة ، وعليه طعام الجيش لأخذه الرباع » (ق ٢/١٠٦) .

ويورد ابن الكلبي معلومات طريفة ، فيتناول مثلا المقربات من بني هاشم ، او اللواتي تزوّجن في قبائل اخرى ، مثل الانصار وخزاعة وعامر بن صعصعة وآل معدي كرب، من حمير والقين وسليم ولخم وفزارة ؛ وهو استطراد يبين سمة الروابط القبلية لقريش، ويؤكد ما قيل في السقيفة من ان قريشا اوسط العرب انسابا (ق ١/١١٥ ب وما بعدها) . ويذكر ان قيسا

(من ولد منبه بن بكر بن هوزان) وهو ثقيف قال « اول من جمع بين اختين من العرب » (ق ٢/١٥٣) .

ويقدم ملاحظة عن بدايات الخط العربي في الحيرة،في معرض حديثه عن بشر بن عبد الملك،اخ اكيدر (في دومة من كلب) اذ يقول،« وهو الذي علمه اهل الانبار خطًا ، هذا الذي يسمى الجزم،وهو كتاب العربية ؛ وكان اول من كتبه قوم من طيء بينهم فعلّموه اهل الانبار ، فعلّم اهل الانبار اهل الحيرة ».وكان بشر بن عبد الملك ياتي الحيرة بحال النصرانية فيقيم بها الدهر ، فتعلمه بشر بن عبد الملك،ثم شخص الى مكة في تجارة فعلمه ابا سفيان بن حرب بن امية — وابا قيس بن عبد مناف بن زهرة،وتزوج الصهباء بنت حرب بن امية ، ثم اتى الطائف فعلمه غيلان بن سلمة الثقفي ، ثم اتى بادية مضر فعلمه عروة بن زرارة الكاتب،ثم اتى الشام فعلّمهم » (ق ٢/١٢٦) .

ويورد ابن الكلبي احيانا معلومات عن مواطن القبائل ؛ فعند ذكر بني اسود بن مالك (بطن من بني مالك بن ثعلبة) يقول انهم « اصحاب النخل باليمامة الذي يصرم في السنة مرتين ، دعا لهم النبي (ص) » (ق ١/٢٢٥ أ) . كما يورد اشارات الى انتقال القبائل الى الامصار ؛ فعند الحديث عن عشائر الازد يقول،« وآل معيوف بدمشق بالغوطة في قرية يقال لها عين حرما » (ق ٢/٣٤٢) . ومكّنته معرفته بالكوفة من تعداد الكثير من العشائر والبطون التي اقامت بها ولها مسجد ، وقائمته مهمة وغنية . ومن هذه : ذهل بن معاوية (من كندة) لهم مسجد (ق ٢/٨٨) ، وامرؤ القيس بن الحارث (بطن من كندة) (ق ٢/٨٩) ، ومالك بن الحارث ، والطمح بن الحارث (ق ٢/٨٦) وامرؤ القيس بن معاوية بن عدي (بطن (ن . ص) ، ومالك بن ربيعة (بطن) (ن . ص) ومالك بن ربيعة (بطن) (ق ٢/٨٦ — ٩٠) ، وجبلة بن عدي بن ربيعة (بطن) والحارث بن

عدي (ق ٢/٦٠) ، ومرة بن حجر بن عدي بن ربيعة (بطن) (ق ٢/٩٢ كندة) ، وعمرو بن ربيعة من ولد وهب بن ربيعة بن معاوية (بطن) ، وابو الخير وهب (بطن) (ق ٢/٨٥ كندة) ، والارقم بطن من ولد نعمان بن عمرو (ق ٢/٩٦ كندة) ، وشجرة (بطن) من ولد معاوية بن ربيعة بن وهب (ق ٢/٩٨) . ومن البطون الاخرى التي لها مساجد مسلمة وهو الحر (بطن) من ولد عمرو بن ابي كرب (ق ٢/١٠٣) ، وبهدلة (بطن) من ولد المثال بن معاوية (ق ٢/١٠٣) . وفي الحديث عن النخع بن عمرو يشير الى بطني جذيمة وحارثة ولكلٍّ مسجدٌ بالكوفة (ق ٢/١٩٤) . ويذكر بني مسلية (بطن) من بني الحارث بن كعب ولهم مسجد (ق ٢/٦٣) ويذكر من بجيلة قيس واوس وعود لهم بالكوفة مسجد ، عدادهم في قيس (ق ٢/٢٤٦) . ويتحدث عن ولد معاوية بن ثعلبة فيذكر زبان « بطن بالجزيرة » ويضيف « وبالكوفة اهل بيت بمالك وهو تراغم بطن وبرعم بطن لهم بالكوفة مسجد » (ق ٢/١٢٨ — ٩) . وهكذا يعطي صورة عن بطون اليمانية بالكوفة .

ويتحدث عن اتجاه قبائل سبا في خروجها ، ويضع خبره في اطار حديث ينسب للرسول ، فيذكر ان سبا ولد عشرة ، فتشاءم اربعة وتيامن ستة ؛ فالذين تشاءموا : غسان ولخم وجذام وعاملة ، والذين تيامنوا : حمير والازد ومذحج وكندة والاشعر وانمار ، الذين منهم بجيلة وخثعم (ق ٢/٨٥ — ٦ ، وانظر ق ٢/٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) وبذلك يعطي صورة لا تخلو من دقة عن حركة اليمانية .

وختاما يمكن القول ان ابن الكلبي يعطي تعليقات سريعة مع الاسماء ، ويورد احيانا ملاحظات اوفى ؛ وهي في مجموعها تعطي فكرة شاملة عن القبائل ورجالها البارزين في الحقول الثقافية .

هــذه الملاحظات واسعة نسبيا لاعطاء فكرة شاملة عــن دراسات الكلبيين ، التـي تناولت عرب الشمال وعرب الجنــوب ، ولان الكتاب لم ينشر ، ولا بـد من التنويه بجهود كاسكل ، فـي تحويل الكتاب الــى جداول ، وفي مقدمته المسهبة .

(W. Caskel - Gamharat An-Nasab ... Des Hisham Ibn Muhammad al-Kalbi, 2 vols. Leiden 1966).

٤ ــ ومن الاوائل في دراسة الانساب مصعب الزبيري (٢٣٣ ــ ٦/٨٤٧ ــ ٨٥٠) وهــو من آل عبد الله بن الزبير ، وكان عالمــا بالانساب . ولم يصلنا من كتابيــه « النسب الكبير » « ونسب قريش » الا الثاني . وتــدل استشهادات المؤرخين كالطبري والبلاذري وابي الفرج الاصفهاني على اهمية هــذا الكتاب ؛ وهو افضل ما وصل الينــا من نسب قريش .

وتشعــر خطة الكتاب بوجود اطار مستقر للنسب القرشي معاصرة ابــن الكلبي ومن جاء بعده . ويبــدو ان مصادره واسعة ؛ فقد افتتح كتابه بالاخــذ من الزهري ، « قال محمــد بن شهاب الزهري » (ص ٣) . واخــذ من مؤلفات تاريخية كقوله « قــال الواقدي . . في بعض اسناده » (ص ٢١٦) ، او « فذكر موسى بن عقبة عن ابــي حبيبة » (ص ١٠٢) . ورجع الــى اهــل النسب كما يبدو من قوله « واجمع اهــل النسب لاختلاف بينهم » ، أو « قــال بعضهم » (ص ٤) . وافــاد كثيرا مــن روايات في النسب والاخبــار ، شفوية ومكتوبة كقوله « سمعت ابــي ، عبد الله بن مصعب ، يقول » (ص ٢٩٦) و « حدثني حماد ابن عنسيل بن فضالة بن رواد الليثي ، وكان حماد قد بلغ مائة سنة وسنتين (ص ٢٤١ مشيرا الــى سِنِّه ليؤكد اتصال الخبــر) ؛ وقوله « واخبرني بهذا الحديث مصعب بــن عثمان بن [illegible] بن عمارة » (ص ٣٣٩) ، و « حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير وغيره » (ص ١٠٩) ، وقوله « اخبرنــا سليمان بن

مولى السعدي قال » (ص ٢٢٩) . واخذ عن ابي الزناد ، مثل « قال ابو الزناد » و « ذكر ابو الزناد » (ص ١٠٢ ، ١٠٣) .

وقد ياخذ مصعب دون ذكر المصدر صراحة ، مثل قوله، « وحدثني بعض من يعلم » (ص ٣١٤) و « وأُخبرت عن هشام ابن يوسف الصنعاني عن معمر » (ص ٢٣٩) ، و « اخبرني من قرا في ديباج كسوة الكعبة » (ص ٢٣٩) و « وذكر ان ابا موسى الاشعري ذكر » (ص ١٠٢) . وياخذ عن جماعة كقوله: « قالوا » (ص ٨١) على طريقة الاسناد الجمعي . وكل ذلك يدلّ على جهده الواسع في دراساته وفي جمع اخباره . ومع ذلك لا ينتظر من مصعب الزبيري ان يتوسع في ذكر المصادر، مع وجود دراسات قبله، مثل دراسات الزهري وابي اليقظان ، ومع وجود نسابين ، بالاضافة الى ديوان الجند .

ولا بد من ملاحظة اولية هي ان مصعب الزبيري اغنى كتابه بمجموعة طيبة من الاخبار والشعر ، فتجاوز خطة الملاحظات المركزة التي اخذ بها ابن الكلبي .

٥ — يعطي المؤلف معلومات مهمة عن التحوّلات في الانساب، بذكر النسب الصحيح وما اتجهت اليه بعض القبائل ؛ ولعل التمثيل مفيد هنا ، فيذكر ان عك (الحارث) من ولد عدنان بن اد ، ويضيف « فكل من بالمشرق من عك ينتسبون الى الازد .. وسائر عك في البلاد وفي اليمن ينتسبون الى عدنان بن اد » (ص ٥) .

ويذكر أن من ولد مَعَدّ بن عدنان قضاعة (ونزار)، ويضيف : « وقد انتسبت قضاعة الى حمير، فقالوا: قضاعة بن مالك بن حمير بن سبا .. وزوروا في ذلك شعرا » . ويستطرد الى تاكيد ذلك بقوله: « واشعار قضاعة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدلّ على ان نسبتهم في معدّ » (ص ٥) . ويورد ملاحظة عامة

من ربيعة ومضر ويقول :« وكان يقال ربيعة ومضر الصريحان من ولد اسماعيل، فدخل من كان منهم بالعراق في النخع ومن كان منهم بالشام على نسبهم في نزار » (ص ٦) . ويذكر ان بجيلة من انمار بن نزار، وانهم « انتسبوا الى اليمن الا من كان منهم بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى انمار بن نزار » (ص ٧) . وعند ذكر خزيمة بن يشكر يقول « وقد انتسبوا في الازد ، ومنهم خثعم، وهو اقبل بن انمار بن نزار .. وهم بالسراة على نسبهم الى انمار بن نزار ؛ واذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبين حضرموت ، كانت خثعم مع اليمن على مضر » (ص ٧) . ويتبين من هذه الاشارات انتساب قبائل من عدنان الى اليمن ، مما يُشْعِر بتحركها جنوبا قبل الاسلام ؛ فالاشارات اليها في النقوش وبَعْدَها تعتبرها يمانية . وقد كان مألوفا في اليمن دخول عشائر او مجموعات في انساب غيرها لضرورات زراعية او سياسية .

ولعل اهمّ ما في نسب قريش انه يجمع بين الانساب والاخبار التاريخية والادبية ؛ فهو يورد معلومات واخبارا عن الشخصيات التي يذكرها من العصر الجاهلي الى زمن الرشيد ، واحيانا المامون (ص ٢٢٨ ، ٢٧٢) ، اي الى عصره .

واخباره احيانا وافية ومهمة ؛ وقد يتوسع فيها الى ما يقرب من ترجمة شاملة ، مثل اخباره عن ابن عباس (ص ٢٦ — ٧) ، وعن عبد الله بن جدعان (ص ٢٩١ — ٧) ، وعن الحكم بن المطلب (ص ٣٣٩ — ٣٤١) ، وعن خالد بن الوليد (ص ٣٢٠ — ١) ، وعن عبد الله بن عامر (ص ١٠٧ — ٦) .

ويأتي احيانا بملاحظات طويلة هامة عن بعض الشخصيات (مثل ابن الزبير ص ٢٣٧ — ٤٠ وانظر ٢١٨) بصدد اشتراكها في احداث هامة ؛ وهي اقرب الى روايات كتب الادب ، ولكنها

على بعضها لا ترقى الى ترجمة (مثلا حركة زيد بن علي ص ٦٠ — ١) . وقد يكتفي المؤلف بمجرد اشارة موجزة او طويلة الى حدث (انظر ص ٢٢٠ — ١ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٢٢) .

وهو يلتفت في اخباره الى جوانب المروءة، فيهتم بصفات الشجاعة وبالاستشهاد وبالكرم (انظر مثلا ص ٢٣٨ وما بعدها ، ص ١٢٧ ، ص ١٤٧ — ٩) . ويتحدث عن اخبار بعض القضاة (مثلا ص ١٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٢) ؛ ويشيد باستقامة البعض وصلابتهم عند عرض اخبارهم (مثلا محمد بن عمران ايام المنصور ص ٢٨٤ — ٥) .

ويعطي الزبيري معلومات اجتماعية مهمة تتصل بالمصاهرات والعلاقات الاجتماعية ؛ ويُشعِر باهمية المراة وبدورها (انظر مثلا ص ٣١٣ — ٣١٤) ، كما يعطي اخبارا وافية عن بعض السيدات ؛ ولهذا دلالته (مثلا صفية بنت عبد المطلب ص ٢٣٠ ، واميمة بنت عبد بن بجاد ص ٢٣٢ — ٣) .

ويتميز الزبيري ، اضافة الى امانته ، بانه يعطي احيانا اخبارا لها اهمية خاصة ، وقد ينفرد ببعضها ؛ ففي الاشارة الى وجز بن غالب يذكر انه « اول مَن عبد الشعرى » ، وانه كان سيدا في خزاعة، ويضيف« ووجز هو ابو كبشة، الذي كانت قريش تنسب رسول الله (ص) اليه ؛ والعرب تظن ان احدا لا يعمل شيئا الابزَق ينزعه شبهه ؛ فلما خالف رسول الله (ص) دين قريش قالت قريش ينزعه ابو كبشة ، لان ابا كبشة خالف الناس في عبادة الشعرى . . » (ص ٢٥١ — ٢) .

ولعله ادق من يكشف النظرة الداخلية لمروان للسفيانيين في فترة معاوية، وذلك من خلال نجواه في المدينة مع عمرو بن عثمان بن عفان ، اذ قال له: « ما اخذ هؤلاء — يعني بني حرب بن امية —

الخلافة الا باسم ابيك فما يمنعك ان تمضي بحقك ؟ فمن انظر منهم رجالا ... » ، وعدّد رجالهم ثم اضاف : « ومنا فلان وعمر فضل ، وفلان فضل ، فضول رجال ابي العاص على رجال بني حرب » . ثم يورد ردّ معاوية على مروان ، وفيه « اشهد يا مروان انني سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا، ودينَ الله دغلا، وعباد الله خَوَلا . والسلام » . وهو قول اشتهر فيما بعد في المؤلفات (انظر ص ١٠٩ — ١١٠) .

ولعل من اطرف ما اورده دور العرفاء ايام معاوية في المدينة، في بدء ولاية عاصم بن ابي هاشم بن عتبة . يقول : « وكان العطاء يدفع الى العرفاء ، وكان لكل قبيلة عريف يأخذ اعطيتهم ويدفعها اليهم . فحبس عاصم اعطية الناس وقال : يأتيني اهلها فادفع الى كل رجل عطاءه في يده . وكانت العرفاء يأخذونها، فلا يغيبون غائبا، ولا يميتون ميتا، ويحضرون اهلها فيعطونهم بعضا ويأخذون بعضا ؛ فاراد عاصم ان يصلح الديوان فلا يعطون غائبا ولا ميتا ، ويأتيه اهل العطاء فيدفع اليهم اعطيتهم وقد عرفهم ؛ فكره الناس ذلك لما كانوا يصيبون من حظ الموتى والغيب ، وامتنعوا من اتيانه . . » (ص ١٠٤) . وهو نصّ يُدلّ على تلاعب العرفاء وقبائلهم في دفع العطاء ليحصلوا على اكثر مما يحقّ لهم ، كما يبين وظيفة العرفاء واهمّيتهم .

ويكثر في الكتاب ايراد المقطوعات الشعرية والتعليقات التي قيلت في مناسبات ، او تعود للمترجم له إن كان ينظم الشعر (انظر مثلا ص ٢١٦ — ٧ ، ٢٢٢ — ٣ ، ٢١٤ — ٥ ، ٢١٤ — ٧) .

٦ — اما انساب الاشراف للبلاذري ، ففيه دراسة لحوادث التاريخ العربي الاسلامي، ومجموعة كبيرة من التراجم في اطار سلسلة النسب .

ويبـــدو ان تنظيم خطة الانساب اديه ولدى من سبقه يتمشى مع تنظيم ديوان القبالة ، ابتداء بآل الرسول ثــم الاقرب فالاقرب . فهو يبــدا بالسيرة (ق ١ ص ٤٠ — ٢٧٨) بعد ان يمهّد لهـا بمقدمة في انساب العرب ليصلها باجداد الرســول وبتاريخ قريش قبل الاسلام (ق ١ ص ١ — ٤٠) ، يليها ابــو طالب واولاده (العلويون) (٢٩٠ — ٥٢٦) ، والعباس بــن عبد المطلب وأولاده (العباسيون) (٥٢٦ — ٦٧١) ، وامية بن عبــد شمس (الامويون) (٦٩٠ — ١١٩٦ ، و ق ٢ – ١ — ٤١٥) ، وبقيــة قريش (ق ٢ ٤١٥ — ٦٩٧) وبقية مضر (ق ٢ – ٦٩٧ — ١٢٦٨) . وهكــذا خصص للسيرة حوالي $\frac{١}{١٠}$ مــن الكتاب ومثل ذلك للعلويين ، وخصّص للامويين حوالي ½ الكتــاب وللعباسيين حوالــي $\frac{١}{١٦}$ منه وابقية مضر اقــلّ من ربعه .

لقـــد تناول البلاذري في كتابه قبائل مضر ، الا القليل منهـــا ، (مثل كلاب ، هلال ، قشير) ولــم يتناول ربيعة واليمن ؛ وان وجد ما يدل على ان دراسته تجاوزت مـــا في الكتاب ، الا انــــه توفي قبل ان يتــم كتابه (حاجي خليفة ٢٧٤/١ . وفي تــاج العروس اشارات اليه تتعلق باليمــن) .

تنـــاول البلاذري العباسيين بتوسع الى ايـــام المنصور ، واوجز في اخبار المهدي والرشيد (ق ١ ص ٦٦٧ — ٦٧١) ؛ وهذا يستدعي الانتبـــاه اذا تذكرنا معاصرة البلاذري للعباسيين مـــن ايـــام المأمون الى ايـــام المعتمد (ت ٢٧٩ هـ) ، وصلتــــه بالخلفاء العباسيين من المتوكـــل (٢٤٧ هـ) الى المعتز (ت ٢٥٥ هـ) . فهل التزم البلاذري بالتوقف عنـــد حدود المعاصرة ؟ ان شيخـــه المدائني تناول التاريخ العربي الى ايـــام المعتصم ، وان بعـــض معاصريه كخليفة بن خياط واليعقوبي والبسوي (٢٧٧ هـ) والطبري ، تناولوا هـــذا التاريخ الى فترات تالية بين الواثق (ت ٢٣٢ هـ) والمكتفي (ت ٢٩٥ هـ) . ام ان البلاذري سار على هيكل اهــل

النسب مثل مصعب الزبيري وابن الكلبي ! لقد بدا تاليف العرب في الديوان منذ قدوم العباسيين،ولكن هذا لم يحصل جديا الا ايام المأمون ، ثم جاء المعتصم فأسقط العرب من الديوان . وهذا يعني ان تسجيل المقاتلة العرب انتهى في مطلع فترة المعتصم،مما يجعل التوقف في اطار الانساب طبيعيا في الهيكل والتدرج .

وتبدو ميزة انساب الاشراف في انه قدم تاريخا للاشراف العرب في مختلف الحقول ، مع تاريخ الخلافة ؛ وهو نسق فريد في سعة افقه وشموله .

٧ — وقد افاد في تفاصيل خطته من خطوط تاريخية متعددة من اساليب كتب الطبقات،وكتب الاخباريين،اضافة لكتب الانساب . ولئن كان هيكله هو اطار الانساب،فان عناوينه الفرعية للاحداث الهامة في فترة كل خليفة،تذكّر بعناوين كتب الاخباريين ، في حين ان تناوله للسيرة ولترجمات الاشراف متأثر بنمط التراجم والطبقات . ويلاحظ بين اساتذته المدائني (٢٢٥/٨٣٦) شيخ الاخباريين ، وابن سعد (٢٣٠/٨٤٤) صاحب الطبقات ، ومصعب الزبيري وابن الكلبي .

افاد البلاذري من كتب الاخباريين ، خاصة ابي مخنف (برواية ابن الكلبي او مباشرة من كتبه) وعوانة بن الحكم ، وبصورة واسعة من المدائني مصدره الاول عن الخلفاء (بالاخذ عنه مباشرة او بالنقل من كتبه) . ومن دراسات اصحاب المغازي في السيرة والتاريخ مثل عروة والزهري وابن اسحاق والواقدي وكاتبه محمد بن سعد ، كما افاد من اهل الانساب خاصة ابي اليقظان ومحمد ابن السائب الكلبي،وابنه هشام،ومصعب الزبيري .

واضاف البلاذري بحوثه ودراساته بالاخذ من شيوخه ومن روايات شفوية اخرى ، وافاد من اسفاره في جمع روايات محلية موثقة من اشياخ المدن التي زارها في الشام والثغور والمدينة، اضافة المدن العراقية .

والبلاذري يدقّق مصادره ، ويفاضل بين الروايات، ويبدي رأيه احيانا لتوثيق رواية . وقد يورد صورا لرواية باسانيد مختلفة لاظهار مجال الخلاف ، ولكنه كثيرا ما يأخذ معلوماته من مجموعة مصادر ليعطي خبرا متصلا . ويبدو ان النظرة الى المؤرخين السابقين (من اخباريين ، واصحاب مغازي، وطبقات، وتاريخ، ونسّابين) استقرّت في عصره ومكّنته من ذلك . وهنا يختلف البلاذري عن الطبري في اسلوبه التاريخي ؛ فبينما يعتمد الطبري اساسا احد مصادره في صدر الاسلام (كابن اسحق في السيرة، او ابي مخنف في الثورات العلوية) ثم يضيف روايات فردية ليعطي معلومات مكمّلة او مباينة ، يبني البلاذري قاعدة معلوماته على ما هو مقبول لدى مجموعة من المؤرخين ليعطي اخبارا يبدأها بـ (قالوا) ، ثم يورد روايات مفردة ليتمّ اخباره ، وهو اسلوب بالغ الاهمية في فهم البلاذري . وفي حين يركز الطبري على المدرسة العراقية في اخباره ، يبدو البلاذري اكثر استفادة من مدرسة المدينة خاصة في احداث الفتوح والاحداث التي تتّصل بتاريخ الامة في الفترات الاولى ؛ كما انه يعطي اهمية خاصة لروايات المنطقة التي وقع فيها الحادث، ويتمّمها بروايات اخرى خارجية .

ويدقق البلاذري في ايراد التواريخ والارقام ، ويراعي التسلسل الزمني في كتابه، الا حيث يقتضي هيكل النسب التقديم والتأخير (مثلا معاوية قبل عثمان ، وترجمة عمر بن الخطاب متأخرة) . ويعقد حديثه عن كل خليفة يتناول ما وقع في عهده من احداث ،

كما يعنى بفعاليات الاحزاب السياسية ، وخاصة الخوارج ؛ وهو افضل المصادر عنهم واوفاها في صدر الاسلام .

ان ثقافة البلاذري ، كما يبدو من مصادره وشيوخه، ومن اشتغاله بالترجمة، ومن مواهبه الشعرية ، تشير الى انه جمع بين الاهتمام بالدراسات العربية والاسلامية، وبالثقافات الاجنبية؛ هذا مع تركيزه على احوال العرب ودورهم التاريخي في الاسلام ؛ وهو لذلك يبدي اهتماما بالنواحي الاجتماعية والثقافية والادبية في اخباره، ويتوسّع فيما يورد من مقتطفات شعرية، وفي [illegible] ايراد القصائد المطولة .

وليس هذا مجال تحليل كتابه الضخم ، وسأكتفي بايراد ملاحظات موجزة (خارج تاريخ الخلفاء) .

٨ — ان ميزة البلاذري الخاصة بالنسبة للمؤرخين المعاصرين هي في كون انساب الاشراف تاريخا للاشراف العرب في تراجمهم، كلٌّ في موقع نسبه ؛ وهو بذلك يعبّر عن اتصال هذا التاريخ ، ويرى في الاشراف مركز الاهمية من هذا التاريخ ، ويعبّر عن النظرة الاجتماعية لهم عند العرب . وهو في تراجمه وما يقدّمه من اخبار وآثار، معجم ضخم للتراجم العربية (يشبه المعاجم الوطنية الكبرى الحديثة) . وبعض تراجمه واسعة تسترعي الانتباه، مثل ترجمته للأحنف بن قيس (ق ٢ ص ٦٦٤ — ١٠١٠) وللحجاج (ق ٢ ص ١٢١٧ — ١٢٥٨ اضافة لأخباره في ايام عبد الملك والوليد) ؛ ولبعض الفصحاء والشعراء، مثل النابغة الذبياني (ق ٢ ص ١٠٩٢ — ٦) واكثم بن صيفي (ص ١٠٧٢ — ١٠٨٢) والفرزدق (ص ٨٧٦ — ٨٩٥) وجرير (ص ٩٤٧ — ٩٦٢) وخالد بن صفوان (ص ٩٧٧ — ٩٩١) . وقد يفيض في الترجمة لنفر من المعنيين بحقل الاختصاص، كما في ترجمته لابي الاسود الدؤلي (ق ٢ ص ٧١٠ — ١٣)، وهو بذلك يكشف جانبا من اهتماماته الادبية .

وفي انســاب الاشراف ثروة من الاخبار عن المسلمين الاولين ، فيذكر في كل ترجمة دخــول الشخص في الاسلام، ومزاياه، ودوره، ومواقفه، واخبــاره الخاصة ؛ وهي ترجمات مسهبة عادة ، وتختلف اهمية كل منهــا حسب دور المترجــم لــه .

ويُعْنَــى البلاذري بامور القبائل في اطارها لنسبها ، فيقدّم معلومات واسعة عن قريش قبل الاســلام وبعده، بتفاصيل لا تَرِد عند مؤرخ آخــر ؛ وينبّه الى امور طريفة (مثلا في حديثه عــن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقــول : « قبل ما ساد قريش مُمْلِق في عنيه ولي بالسبب » (ق ٢ ص ٤٠٧ ، وانظــر اخباره عن محاولة عثمان بــن الحويرث ان يتراس في قريش، ويرتبط بقيصر الروم (ق ٢ ص ٤٨٨) ، ومثــل اشاراته للايلاف (ج ١ ص ٥٩ — ٦٠) .

ويهتــم البلاذري بأيام العرب، ويعطي معلومات مركّزة ومهمة عن مجموعة منها، مثل يــوم ذي نجب (ق ٢ ص ٩٢٤ — ٦ ، ٩٠٣ — ٤) ، ويــوم غبيط المدرة او صحراء فلج (ق ٢ ص ٩٢٥) ويــوم فحقج (ق ٢ ص ٩٢٦) ويوم ذي طلوح (ق ٢ ص ٩٢٨ — ٩٣٠) ، ويوم المروت (ق ٢ ص ٩١٨ — ٩) . وداحس والغبراء (ق ٢ ص ٩٣٤ — ٥) ، ويــوم القريتين (ق ٢ ص ٨٣٠ — ١) ، ويــوم بزاخة (ق ٢ ص ٨٣١ — ٢) ويوم النسار ويــوم الجفار (ق ٢ ص ٧٢٨) ، وايــام الفجار ويوم ذات نكيف (ج ١ ص ٧٥) ويــوم نخلة (ج ١ ص ١٠١ — ٢) ، ويــوم شمطة (ج ١ ص ١٠٢ — ٣ و ج ١ ص ٧٠٠) . ويــوم الحريرة اول ايــام الفجار (ق ٢ ص ٧١٩) ، ويوم نطاع (ق ٢ ص ٨٣٥) ويــوم الشيطين (ق ٢ ص ٨٤٥) ويــوم جبلة (ق ٢ ص ٨٥٢ — ٣ ، ٨٥٧) ويــوم اوارة (ق ٢ ص ٨٦٦ — ٧) ويــوم قشاوة (ص ٩٤٠) ويــوم الكلاب الاول (ق ٢ ص ٨٩٧) ويــوم الكلاب الثاني (ق ٢ ص ٧٩١ — ٢ ، ١٠٢٢) . هذا وترد اشارات اكثر ايجازا لايام اخرى (مثل يوم

خضـو(ق ٢ ص ٨٦٠) ويوم الهباءة (ق ٢/١٠٢٢) ويوم رحرحان (ق ٢ ص ٨٦٣) ويـوم الخبيط (ق ٢ ص ٩٤٣) ويـوم [illegible] (ق ٢ ص ٨٧٣) .

وهـو يورد مقتطفات في مواضع عـدة من نقائض جرير والفرزدق (انظـر ق ٢ ص ٦٣٤ ، ٦٤٠) . ويلاحظ ان البلاذري حاول الافادة من اكثـر من مصدر في اخبار الايام (انظر ق ٢ ص ٦٢٥) وفـق اسلوبه ، ولكن يبدو ان جـلّ اعتماده كان على محمد بن السائب الكلبي وابنـه هشام (ق ٢ ص ٦٤١ ، ٨٦٧) ، وهو قليل الاشارة الى ابـي عبيدة (ق ٢ ص ٦٤١) . وقـد يأخذ عن راوية من البـدو (مثل مراش بن اسماعيل ق ٢ ص ٨٦٧) او يكتفي باشـارة عابرة (مثل « قـال بعضهم ق ٢ ص ٦٢٤) . وهكذا يحفظ البلاذري روايات مبكّرة عن الايـام توازي روايات محمـد بن حبيب (عن ابـي عبيدة) ، ولهذا اهمية خاصـة .

ويتحـدث البلاذري عن الشؤون المتعلقة للقبائل قبل الاسلام ، من غزوات اعتيادية (مثل غارات بنـي ثعلبة بن يربوع على بني اسد (ق ٢ ص ٧٣٥ ــ ٦ ، وانظر ٩٣٠ ــ ٢) ، الى اعلان او تشكل حلف قريش مع الاحابيش وظروفه ق ٢ ص ٧٢٣ ، ٧٢٨) ، او محاولات ثـأر مهمة (مثل مقتل حُجر بن عدي على يد بني اسد ، ومحاولات امرىء القيس للثأر ق ٢ ص ٧٤٠ ــ ١) او شـؤون اخرى مثل الاتفاق على جعل ولايـة الموسم والافاضـة بالناس الى بني تميم (ق ٢ ص ١٠٢١ ــ ٢) ، بـل يعطي معلومات طريفة عن الرادفة لدى المناذرة ، ومعناها ، ومهمـة الردف ، وامتيازاته (ق ٢ ص ٩١٧ ــ ٨) .

ويورد البلاذري معلومات بالغـة الاهمية عن [illegible] خلال القرنين الاولين (انظر مثلا ق ٢ ص ٧٥٢ ، ٧٨٨ ، ١٠٠٢) ، بما في ذلك اثـر الجفاف في البادية على ميـاه [illegible]

وحركاتها ، كما يقدم معلومات ثمينة من نظرة العرب للأرض، ومن تحوّل الاشراف الى ارستقراطية ملاكة ؛ وهو في مالهمة المؤرخين الذين اهتموا بهذه النواحي هنا وفي كتابه فتوح البلدان .

كما انه يعطي معلومات غنية في الناحية الاجتماعية (انظر ق ٢ ص ١٠٠٦ ، ٧٥٠) . واخباره عن حركة القبائل وانتقالها من الجزيرة الى الامصار لا مثيل لها في الشمول والتفاصيل والدقة (وإن فاقها الطبري احيانا في السعة) .

٩ — ويستند البلاذري في معلوماته عن القبائل الى ابي اليقظان (١٩٠/٨٠٥) لدرجة كبيرة ، ويأخذ عنه عادة بعبارة : قال ابو اليقظان (ق ٢ ص ٨٧١ ، ٢) او « وفي رواية ابي اليقظان » (ق ٢ ص ٨٩٥) ، وبذلك يؤكد الاشارات الى اهميته ودوره في النسب .

كما انه يأخذ كثيرا عن ابن الكلبي (هشام بن محمد) برواية مباشرة (عن ابنه) او بالاخذ من كتابه (ق ٢ ص ٤٥ ، ١٠١ ، ١٥٤) ويعتمد عليه اعتمادا واسعا في اخباره عن قريش قبل الاسلام . ويأخذ عن ابيه محمد بن السائب الكلبي برواية ابن هشام،او بالاخذ عنه مباشرة (قال الكلبي ق ٢ ص ٣٤ ، ٦٦) وهذا يؤكد وجود كتاب لمحمد بن السائب في الانساب ؛ وهو يأخذ عنه احيانا دون اشارة واضحة،مثل تعقيبه : وقال غير الكلبي (ق ٢/٨١٦) ويبدي تفضيله له حين يقول : « وقال غير الكلبي ... وقول الكلبي اثبت .. (ق ٢ ص ٨٢٧) .

واذا كان البلاذري في فترة قبل الاسلام يعتمد على روايات فردية،فانه في الفترات الاسلامية يستند في الاساس في اخباره الى مصادر متعددة،يفيدها بـ (قالوا) ، تعضدها روايات فردية مسندة (انظر ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها) . ونكتفي بالتمثيل من

السيرة . ففي حين يعتمد الطبري على سيرة ابن اسحق ، فان البلاذري يعتمد بالدرجة الاولى على الواقدي وتلميذه محمد بن سعد ، اضافة الى رجوعه الى مؤسس مدرسة المغازي (الزهري ٨٥ رواية ، وعروة بن الزبير حوالي ٤٠ رواية) . اما ابن اسحق فيرجع اليه بقدر متواضع (٤٢ رواية) . وكمثال لذلك ننظر الى اخباره عن بدر لنرى ان معظم معلوماته يرد تحت : "قالوا" (٢٨٨ — ٩٠ ، ٢٩١ — ٢ ، ٣٠٤ — ٥) . وبجانب ذلك ترد اخباره عن الواقدي (٢٩٤ — ٨ ، ٢٩٨ — ٣٠٢ ، ٣٠٥ — ٣٠٨) ويأخذ الاخبار عن ابن سعد مباشرة ، كما ان جلّ اخبار الواقدي يرد في حديث ابن سعد وبعضها بالنقل من كتبه « قال الواقدي ص ١١٢ و ٢٩٢ وبعدها ، ص ٢٩٨ ، ص ٣٠٥ وبعدها » وهو يتسم هذا بروايات فردية مسندة عن محدّثي المدينة ورواتها .

يبدو أن البلاذري توسع في مفهوم « الاشراف » فهو لا يقتصر على من يأخذ شرف العطاء ، ولا على من ينتسب الى اشراف القبائل ، كما انه لا يقتصر على من سجل في ديوان المقاتلة الذي لم يعد يشمل الا جزءا من العرب في الامصار ، من ايام المروانيين ، بل انه شمل هؤلاء جميعا وانتبه بصورة خاصة الى من صار له دور في الحياة العامة السياسية والادارية والفكرية (الشعراء خاصة) .

وهو على صلته بالعباسيين يحاول ان يكون موضوعيا ، ولعلّ صلته هذه افادته في الاطلاع على روايات داخلية عن الدعوة العباسية وعن الفترة الاولى ، وفي الافادة من الدواوين . وهو على العموم محايد متزن . وهو في الانساب يعبّر عن نظرة اجتماعية عربية الى دور الاشراف العرب في تاريخ الامة ، كما يعبّر عن اتصال خبراتها وسيرها .

د. عبد العزيز الدوري